دَلاَلَةُ الْكُنْيَةِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.د. كاظم داخل جبير

جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

The Nickname Indications in the Holy Quran

Prof. Dr. Kadhim Dakhil Habier

College of Education for Humanity Sciences Al-Muthanna University

ملخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الكنية في القرآن الكريم، تلك الظاهرة التي تميّزت بها العربية على غيرها من اللغات، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي مع الاستعانة بالمنهجين التحليلي والتاريخي.

تناول الكنية لغة واصطلاحاً، ودلالة الكنية في القرآن الكريم، إذ تناول البحث أربع عشرة كنية قرآنية مرتبة ترتيباً ألفبائيا، واقفاً عن كل كنية بإيراد آراء المفسرين واللغويين، محاولاً التصريح بغرضها، خاتماً البحث بأبرز النتائج.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الكنية، القرآن الكريم، الطاهرة.

Abstract

This research aims to study the noun phenomenon in the holy Qur'an, the phenomenon that distinguished Arabic over other languages. The research adopted the descriptive approach with the analytical and historical approaches.

This research studied the noun as a language and idiom, and the connotation of a noun in the Holy Quran, as The research dealt with fourteen Quranic nicknames arranged alphabetically, standing on each noun by mentioning the opinions of exegetes and linguists, trying to clarify its purpose, concluding The research with the most prominent results...

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد:

فظواهر لغتنا العربية تُتْحف الناظر، وتسُر الخاطر، وتبهر السامع وتعجب وتدهش المتأمّل والمتفكرّ في دقائقها ومن هذه الظواهر ظاهرة (الكنية) فهي مما تميّزت به العربية على غيرها من اللغات وما هذه الظاهرة إلاّ أمارة دالة على سعتها وكمالها، ولهذه الكنية أغراض تُستعمل لأجلها كالتعظيم، والتكريم، والتفاؤل وغيرها وقد سعى الباحثون إلى دراستها والتحقيق فيها فضلاً عن وقفات القدامى عندها في مؤلفاتهم.

أما الكنية في القرآن الكريم فلَم تحظ بدراسة خاصة بها على الرغم من جليل قدرها وسموها الأمر الذي دفع الباحث إلى دراستها في هذا البحث طلباً لمعرفة أغراضها ودلالاتها في ضوء السياقات القرآنية الواردة فيها، اعتقاداً منه أن الأغراض التي سيقت من أجلها ستكون أدق وأعمق ممّا ورد في اللغة وقد اشتمل البحث على:

مدخل تناولت فيه الكنية في اللغة العربية. وقفت فيه على أمور هي: الكنية في اللغة والاصطلاح. وفرقها عن الكناية ثم أنواعها، وأغراضها فضلاً عن وقفه قرأتُ فيها أغراضها في ضوء أساليب القرآن العامة.

دلالة الكنية في القرآن الكريم، وتناولت فيه أربع عشرة كُنية قرآنية مرتبة ترتيباً ألفبائياً، وقفت عند كل كنية مورداً من آراء المفسرين واللغويين ثم محاولة التصريح

بغرضها وقد سُبق المدخل والدراسة القرآنية بمقدمة وختما بأهم النتائج.

وقد اعتمدتُ منهجاً وصفياً مع الاستعانة بالمنهجين التحليلي والتأريخي، ولَعمري لقد بذلت في هذا البحث ما استطيع ولم أبخل بجهد أو وقت فما فيه من حُسن فمن الله وما فيه من قبح فمنيّ وما توفيقي إلّا بالله.

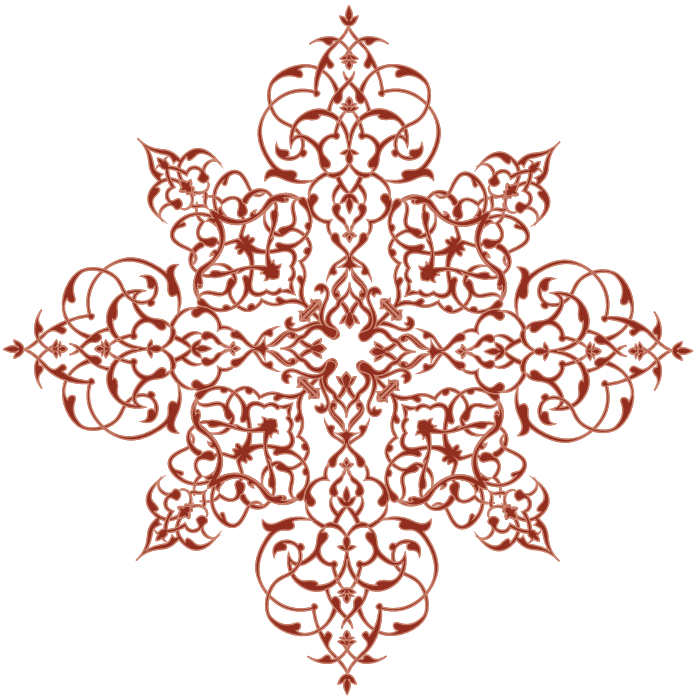

مدخل

الكنية في اللغة العربية

أولاً: الكنية في اللغة

(الكُنية، والكِنيةُ، والكُنْوة، والكِنوة، كُنى، وكِنى، والكنية من كَنيتُ أي سترتُ، وعرضتُ)[1].

ثانياً: الكُنية في الاصطلاح

(الكُنية: علم صدِّر بأبٍ، أو أمّ، أو ابن، أو بنت)[2]، وجاء أيضاً: (أما الكُنية فيعرفونها بقولهم: ما كان في أوله أبٌ، أو أمٌّ، كأبي عبدالله وأم عبدالله، ويدخل في الكنى ما حُدِّدَ بأخٍ أو أختٍ، أو ابنٍ، أو بنتٍ إذ يدخل ذلك في المسمى الكُنى)[3]، وقال الكفوي: (والعلم إن كان مصدّراً بأبٍ، أو أمٍ فهو كنية)[4].

فمعنى الستر مستنبط من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي إذ يظهر من عدم التصريح بالاسم الصريح للشخص وذلك بإضافة الأب، أو الابن إلى الأسماء.

(١) لسان العرب:١٢/ ١٧٤. وينظر: متن اللغة، أحمد رضا الغراوي: ٥/ ١١٦.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ٣/ ٣٣٥. وينظر: أسماء ومسميات من تاريخ مصر القاهرة، محمد كمال السيد محمد: ١٥١-١٥٢.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: مادة: (ك ن ي).

(٤) الكليات، الكفوي: ٦٠٣.

وتلتقي الكُنية مع الكناية في عدم التصريح عن الشيء بلفظة الصريح وتفترق عنها في الغاية من عدم التصريح. فالكنية يُراد منها التعظيم أو التكريم أو التحقير بخلاف الكناية إذ يراد منها إبهام السامعين[١].

ومن ثَمَّ لا يصحّ الخلط بين المصطلحين كما فعل ابن عطية بقوله: (لكل شيء كُنية)[٢]، يريد (كناية) بدليل قوله: (وكنية الزعم الكذب)[٣].

ثالثاً: أنواع الكنية

للكنية تقسيمات متعددة، وباعتبارات متعددة صَرّح بها القُدامى وتابعهم المحدثون، وسنذكرها للوقوف على حقيقتها، ومعرفتها، وكيفية مجرياتها في اللغة، وهي لا تخرج عن الآتي:

١. تقسَّم باعتبار الكثرة والندرة على قسمين

أحدهما: الكنى المعتادة، صرّح بها ابن الأثير (ت٦٦٠هـ) قائلاً: ((فمن المعتاد الكنية بالأولاد ومنه قولهم: آدم أبو البشر)[٤].

والآخر: الكنى النادرة، صرّح بها ابن الأثير أيضاً بقوله: (والنادر كقولهم في كنية علي بن أبي طالب أبي تراب)[٥].

وقد ذكر الثعالبي (ت٤٢٩هـ) هذين القسمين على سبيل التمثيل لا على سبيل التقسيم[٦].

(١) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٤/ ٥٦.
(٢) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ١/ ٣٠٣.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٣٠٣.
(٤) المرصع في الأباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات: ٣٨
(٥) المصدر نفسه: ٣٨.
(٦) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي: ٢٠٠-٢٠١

وذكر السيد محمد رضا الحسيني الجلالي هذا التقسيم ونسبه إلى ابن الأثير في بحثه (الكنية حقيقتها وميزاتها)[١]، وتابعه الدكتور نبيه القاسم في بحثه (في أبوّاتنا فقدنا شخصيتنا الكنية وحقيقتها)[٢].

٢. تُقسّم باعتبار تغيّر الأحوال على قسمين

أحدهما: تعدُّد وتغيُّر الكنية وتعدُّد وتغيُّر الحال، وهذه تنبّه لها ابن الأثير بقوله: (وبعضهم يكون له كنيتان في حالين كـ(عامر بن الطفيل) يكنّى في السِّلم بأبي علي، وفي الحربِ بأبي عقيل)[٣].

والآخر: تعدّد الكُنية بثبوت الحال، قال ابن الأثير: (وبعضهم يكون له كنيتان أو أكثر في حالٍ واحدة وهم كثير...)[٤].

وهذا التقسيم لم ينتبه له القدامى بل أوردوا ما جاء منه على سبيل التمثيل[٥]، ولم يبعد عنهم المحدثون في هذا الأمر إذ عنوا بالتمثيل فحسب[٦].

٣. تُقسَّم باعتبار الأجناس على قسمين:

أحدهما: كنية العاقل (الأنسان) ويدخل في ضمنها القسمان السابقان، وهي النوع الغالب وتكون فيها التكنية على وجه الحقيقة في الأعم الأغلب[٧].

الآخر: كنية غير العاقل، وتكون التكنية فيها على سبيل المجاز أو العلمية، وتشتمل على:

(١) ينظر: الكنية حقيقتها ومميزاتها وأثرها في الحضارة والعلوم الاسلامية، بحث: ٥-٢٩، ٧٤-٩٥).

(٢) ينظر: في أبواتنا فقدنا شخصيتنا (الكنية وحقيقتها) بحث.

(٣) المرصع: ٣٩-٤٠.

(٤) المصدر نفسه: ٣٩-٤٠.

(٥) ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٩٦-٢٠٥.

(٦) ينظر: الكنية حقيقتها وميزاتها، مجلة تراثنا العدد٥: ١٧-٢٩.

(٧) ينظر الكشاف اصطلاحات الفنون: ٤/ ٥٧.

أ: **كُنى الحيوان**: يقول التهانوي (ت١١٥٨هـ): (وقد يوضع للجنس اسم وكُنية كما قالوا للأسد: أُسامة وأبو الحارث)[١]، وقد أورد العلماء القدامى مصاديق كثيرة عن كُنى الحيوان كأبي هلال العسكري (توفي بعد٤٠٠هـ)[٢]، والثعالبي[٣] والزمخشري(ت٥٣٨هـ)[٤]، وابن الأثير[٥]، الدّميري(ت٨٠٨هـ)[٦]، ومن المحدثين من سعى إلى جمع كُنى الحيوان في معجم موحّد ليسهل على القُرّاء الوقوف عليها ودراستها[٧].

ب: **كُنى النبات**: لم يصرّح القُدامى بها فضلاً عن ندرتها بل وردت على سبيل العلمية ولم يتعرض لها المحدثون وقد سعى الباحث إلى جمعها في معجم موحَّد[٨].

ت: **كُنى الجماد**: أوردها العلماء القدامى ومثلوا لها في كنيتهم مثل أمّ القُرى، وأمّ النجوم[٩]، وبنت الأرض (كنية الحصاة)[١٠].

ث: **كُنى المعاني**: وتشتمل على الأشياء المعنوية غير المرئية ومصاديقها كثيرة تحدث عنها العلماء وأوردوها في مصنفاتهم أمثال: أم دُفر: كنية الدنيا، وأمّ دُمنة: كُنية الحُمّى، وأبو مالك: كُنية الجوع، وكنية المِكبَر[١١].

(١) ينظر: الكشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ٣٣٦.
(٢) ينظر جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ١/ ٤٧.
(٣) ينظر: ثمار القلوب: ٢٠٣-٢٠٧.
(٤) ينظر: المستقصي في أمثال العرب، الزمخشري: ٢/ ٧١.
(٥) ينظر: المرصع: ٤٠.
(٦) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري (كنى الحيوان موزعة على أبواب كتابه).
(٧) ينظر كنى الحيوان دراسة ومعجم: كاظم داخل، وأصيل محمد كاظم، بحث منشور.
(٨) كنى النبات دراسة ومعجم، كاظم داخل: بحث قيد النشر.
(٩) ينظر: ثمار القلوب: ٢٠٣.
(١٠) ينظر: المرصع: ٦٠.
(١١) ينظر: ثمار القلوب: ١٩٨-٢٠١.

٤. تُقسَّم باعتبار اللفظ المُصَدَّر على أقسام ثلاثة:

المُكَنَّى: ما كان مصَّدراً بأب أو أمٍّ كأبي عبدالله، أمّ عبدالله[١].

المُبنّى: ما كان مصدّراً بابن أو بنتٍ مفرداً أو جمعا[٢].

المُوآخا: ما كان مصدّراً بأخٍ، أو أُختٍ ويرتبط بمصاحبة الشيء أو المعاناة منه أو مرافقته، أو ملازمته، أو الإكثار من استعماله[٣].

ويرى الدكتور عباس حسن أن سبب وجود هذا النوع يرتبط بمن لم يكن له ابن أو بنت إذ يُكنّى بأقرب الناس إليه كأخٍ، وأختٍ[٤].

وثمة ما يجرى (الموآخا) وهو ما صدِّر بـ(عمَّ وعمّة)، و(خال وخالة) ولكن لا نعدّه نوعاً لقلته وعدم الالتفات له من المختصين ولاسيما القُدامى.

ويبدو إن القيمة الدلالية لهذه الأنواع يحددها الاستعمال وحاجة المتلقي.

رابعاً: أغراض الكنية

للكنية أغراضٌ صرّح بها العلماء القدامى، وأكّدها المحدثون، وهي لا تخرج عن الآتي:

إخفاء اسم العلم: هذا الغرض يُلمحُ من رأي السيد حيدر شرف الدين العاملي الذي مفاده. أنّ أصل استعمال الكنية عند العرب لإخفاء أسمائهم؛ لأنهم كانوا أمة قبيلة تعيش حالات الحروب والغارات، فربّما اتخذوا الكُنى في بداياتها ليخفوا وراءها شخصياتهم المعروفة عادة بالأسماء ثم تبلورت إلى أداة معبّرة عن الأشخاص وتميّزت

(١) ينظر: الكليات: ٦٠٣.

(٢) ينظر ثمار القلوب: ١٩٢. وينظر: المرصع: ٣٩.

(٣) ينظر: المرصع: ٣٩.

(٤) ينظر: النحو الوافي: ١/ ٢٧٧.

بخصوصيات أُخرى[١].

التعظيم: من الأغراض المهمة الواضحة في استعمال الكنية في اللغة قال الرضي(ت٦٨٨هـ): (والكنية عند العرب قد يقصد بها التعظيم...)[٢].

ويؤكد هذه الحقيقة محمد كمال السيد محمد بقوله: (وكانت الكنية عند العرب للتعظيم والإجلال وكان عليه الصلاة والسلام يُكنّى بأبي القاسم نسبة لابنه القاسم)[٣].

التكريم: غرضٌ لا يقل أهمية عن الغرض السابق، يقول الرضي: (وفي الكنية تكريم...)[٤] ويرجع السبب إلى (أن بعض النفوس تأنف من أن يخاطب باسمه)[٥].

التفاؤل: وترد الكنية على سبيل التفاؤل، ويُعدُّ غرضاً لطيفاً من أغراضها، يقول الثعالبي: (أبو يحيى يُقال لقابض الأرواح: أبو يحيى، كما يُقال للحبشي: أبو البيضاء، للأعمى: أبو البصير)[٦].

ويقول الدكتور أحمد مختار عمر: (والعرب تُكني الأسود بأبي البيضاء لسبب اجتماعي هو التفاؤل)[٧].

ويبدو أن هذا النوع أسهم في إيجاد ظاهرة الأضداد في الكنى أعني به (اللفظ المستعمل في معنيين متضادين)[٨].

تأكيد ما يُلصق بالاسم من صفة، أو حدث معين: وترد كنى كثيرة على سبيل هذا

(١) ينظر النحو الوافي:١/ ٢٧٧. وأبواتنا فقدنا شخصتنا، د. بنيه القاسم (مقالة).

(٢) ينظر: أبواتنا فقدنا شخصتنا: د. بنيه القاسم (مقالة).

(٣) شرح الكافية، الرضي:٣/ ٢٦٤. الكليات: ٦٠٣.

(٤) أسماء ومسميات من تأريخ مصر القاهرة: ١٣٥.

(٥) شرح الكافية، الرضي: ٣/ ٢٦٥. الكليات: ٦٠٣. وينظر: الكنية حقيقتها وميزاتها، محمد الحسني: ١٠-٢٥ (بحث منشور في مجلة تراثنا عدد١٧).

(٦) شرح الكافية، الرضي: ٣/ ٢٦٥. الكليات: ٦٣.

(٧) ثمار القلوب: ١٩٧.

(٨) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٢٠٥.

الغرض منها أبو هريرة[١]، وأبو الذبّان[٢]، وأبو تراب[٣]، أبو قربة[٤]، وتأتي غالبية كنى الحيوان لتحقيق هذا الغرض أعني بيان صفة معينة فيه[٥].

التحقير والإهانة: أورد العلماء كنى كثيرة على هذا الغرض، قال الكلبي (ت٢٠٤هـ): (وكان صفوان بن أمية خليعاً يكنّى أبا الفواحش)[٦]، وقد ورد على لسان الفصحاء ما هذا مفاده إذ قال عبد الله بن الزبير لمروان: (ماأنت وذاك يابن الزرقاء[٧])[٨].

بقي أمر أودّ الإشارة إليه مفاده: أن من الكُنى ما يحتمل الأمرين فقد يستعمل للتكريم، وقد يستعمل للهمز واللمز، والسخرية، ويمكن أن نطلق على هذا النوع: (الكنى الاحتمالية) فهي تحتمل الأمرين وتعتمد على توظيف المتكلم ومقصده منها، ومصاديقها كثيرة منها (أبو تراب) كنية علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أطلقها عليه النبي صل الله عليه وآله عندما وجده متوسداً التراب إذ قال له: «قم يا أبا تراب» مداعبة ومزاحاً وكانت من أحبّ الكنى إليه، ولكن في المقابل كان معاوية يستعملها للسخرية والانتقاص[٩].

مما تقّدم يتضح أن الكنية في اللغة العربية هي غير اسم العلم الصريح، ويؤتى بها لتحقيق غرض من الأغراض سابقة الذكر، وتعدّ الكنية مما يُميّز العربية من غيرها من اللغات وتشتمل على كّنى العاقل وهذا مرتبط بكثرة تداولها والاتساع فيها حتى شملت الحيوان والنبات، وتبيّن كذلك من استقرائها استعمالها بصيغة المفرد دون الجمع.

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١٩١.
(٢) ينظر: المصباح المنير: ٦٣٧.
(٣) المرصع: ١٤٠.
(٤) المرصع: ٣٨. المصدر نفسه: ٢٢٣.
(٥) ينظر: كنى الحيوان دراسة ومعجم (بحث منشور في مجلة القادسية عدد٣-٤): ٩٢-١٠٣.
(٦) مثالب العرب والعجم، هشام بن السائب الكلبي: ٨٤.
(٧) ينظر: مثالب العرب والعجم: ٨٤.
(٨) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي: (٢٠/ ١١٦).
(٩) الكنية حقيقتها وميزتها: (بحث منشور في مجلة تراثنا عدد١٧): ٦٣.

خامساً: قراءة في دلالة الكنية في ضوء السياق القرآني

قبل البدء يتتبع السياقات التي وردت فيها الكنية ولتوخّي الدقة لابّد من عرض دلالات الكنية سابقة الذكر على القرآن للحاظ مدى تناسبها مع التعبير القرآني الدقيق:

فغرض (إخفاء اسم العلم) لا يتناسب كلياً مع ماهية التعبير القرآني إلا في موضع سنشير إليه؛ لأن إخفاء الاسم يؤدي إلى (الإبهام والإيهام) وهذا الأخير يُعّد إشكالية من جهتين:

الأولى: يتنافى هذا الأمر مع فكرة (الكتاب المبين)[1]، التي نصّت عليها آياتٌ كريمات منها قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3])، والثانية أن هذا الأمر ينتج عنه (كُنى) مخفية مبهمة تحتاج إلى تعريف وهذه مهمة غاية في الصعوبة فالكنية ليست سهلة التعريف كالأسماء المبهمة المحدّدة التي عُرّفها العلماء[4]، فهي قد تولّد احتمالات لامتناهية يعتريها الغموض والإيهام.

ودلالة التعظيم كذلك تتهافت أمام الأساليب الرفيعة التي ترد في التعبير القرآني في تعظيم الأشخاص وهي أساليب صريحة دالّة على التعظيم تنماز بدقتها وبيانها إذ لا تحتمل غير التعظيم فهي نص فيه بخلاف الكنية التي تعتمد على قصد المتكلم وتنغيمه، فالله سبحانه عندما أراد تعظيم خُلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عزّ شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

وأرى أن لا سبيل إلى الموازنة بين التعظيم بالكنية، والتعظيم بهذا الأسلوب

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم في ضوء اللسان العربي المبين: ٩٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٤) التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي.

(٥) سورة القلم/ الآية: ٤. وينظر الايات: التوبة: ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١٢٩. يونس: ١٥.

الواضح الصريح.

وقد يأتي التعبير القرآني على أساليب أخرى في التعظيم مثل التنكير كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، قيل: أن سبب تنكير العذاب هو لتعظيمه[2]، وهذا يفوق ما يتحصّل من الكنية من التعظيم.

أما (التكريم) فلا يبعد عن التعظيم إذ يستعمل التعبير القرآني الأساليب الواضحة في التكريم بلفظ (كرم) ومصاديقه كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[5]، فباللفظ البيِّن ابتعد عن الاحتمالية وكان أولى لإرادة معنى التكريم.

أمّا دلالة الإهانة والتحقير فقد اتخذ إليها القرآن سبيلاً أعلى وأدق من استعمال الكنية إذ يعتمدُ على التصريح كقوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[7]، ويعتمد على أسلوب التهكّم تارة أخرى المعبّر عنه بصيغة التنغيم أحياناً كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[8]، أو يُعبرِّ عنه بالمقارنة أحايين أخرى بأنواعها السبع التي أهمها: المفارقة الضمنية ومثلها قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[9]، ومنها اللفظية

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٢٤.
(٢) ينظر: المفارقة القرآنية: ١٥٣ – ٢٢٢.
(٣) سورة التكوير، الآية: ١٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٥) سورة الانفطار، الآية: ١١.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٨) سورة الفرقان، الآية: ٤١.
(٩) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[1]، ومنها البنائية كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[2]، وغيرها من الأنواع الـأُخر.

وكذلك التفاؤل فقد كان منهج القرآن في بيانه اعتماده على الأسلوب الصريح الدال على التفاؤل كالنهي عن القنوط من رحمة الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]، وكذلك النهي عن اليأس من روح الله كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4]، ومن ذلك أيضاً تأكيد اليُسر بعد العُسر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[5].

فما في هذه الأمثلة القرآنية وغيرها من التفاؤل يفوق النزر اليسير الوارد في بعض الكنى اللغوية، وبيان الصفة كذلك اعتمد القرآن أساليب كثيرة منها بالمشتق (كالكافر، والمؤمن، والمسلم وغيرها)، ولا ننكر استعمال القرآن الكُنى الدالة على الصفة أو الفعل كابن السبيل، أبي لهب. ولكن الاستعمال القرآني ألقى بظلاله على هاتين الكنيتين فزاد في قيمتها الدلالية وسيأتي التفصيل فيهما في قادم البحث.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٥) سورة الشرح، الآية: ٦.

دلالة الكنية في القرآن الكريم

ما تقدّم في السطور السابقة يمكن عدّه قرائن خارجية نبين فيها أن الكنية في اللغة هي غير الكنية القرآنية تحدد دلالتها وتحدد غرضها من السياق الذي ترد فيه، وصنفت على الكنى القرآنية التي بلغت (١٤) أربع عشرة كنية واشتملت على الأنواع الثلاثة (المكنّى، والمبنّى، والمؤآخا) مرتبة ترتيبا ألفبائياً لبيان الغرض الذي وُظفت من أجله.

١. (ابن أمّ)

وردت هذه الكنية في آيتين كريمتين إحداهما في سورة (الأعراف)، والأخرى في سورة (طه). كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[٢].

ويبدو من لحاظ الآيتين أن الآية الأولى قد فصلت الحدث كاملا ابتداءً من مجيئ موسى غضبانَ وكيف وجدهم يعبدون العجل، وكيف مسك برأس أخيه هارون،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٤.

وقد سُردت الأحداث في ثلاث آيات في سورة طه، أي وردت على سبيل التفصيل فقد سُبقت الآية التي تشتمل على الكنية بآيتين إحداهما قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾[1]، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[2].

وقد وردت الكنية في موضع المنادى في الآيتين وجاءت بحركتين فمرة بالفتح جعلها كالكلمة الواحدة (جعل الاسمين اسما واحدا) وهي قراءة أهل المدينة، أبو عمروبن العلاء[3]، ومرة بالخفض على الإضافة وهي قراءة أهل الكوفة (ابن أمّ) قال الكسائي، والفراء: تقديره يا ابن أمّاه[4]. وقال البصريون: هذا القول خطأ إن خفيفة لاتخذن ولكن جعل اسمين اسما واحدا[5].

وعلى القراءتين يبقى للكنية دلالتها الثابتة الذي سيقت من أجلها وهي (الاستعطاف). قال النحاس (ت٣٣٨هـ): (فقال ابن أم على الاستعطاف له؛ لأنه أخوه لأمه وهذا موجود في كلام العرب كما قال: (يابن أمّي ويا شقيقَ نفسي))[6].

وأكد هذه الدلالة غير النحاس إذ قيل: (وأصله يا ابن أمي وهي كلمة استرحام واسترقاق قالها لإسكات غضب موسى ويظهر قوله: (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أنه أخذ بلحيته ورأسه ليضربه)[7].

وثمة دلالة تُلمح في الكنية واستعمالها وهي (الاصطفاء) تتعلق بمكانة أم موسى فهي من الموحى إليهم قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ...﴾[8]، ومعنى

(١) سورة طه، الآية: ٩٢.
(٢) سورة طه، الآية: ٩٣.
(٣) ينظر: إعراب القرآن: النحاس: ٣/ ٤٥.
(٤) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ١/ ٣٩٤.
(٥) ينظر المصدر نفسه: ٣/ ٤٥.
(٦) شعر أبي زبيد الطائي: ٤٨.
(٧) مختصر الميزان: ٣١٨.
(٨) ينظر: الإعجاز القرآني: محمد عادل: ١٤٣-١٤٦.

الاصطفاء أنها من الصفوة التي اختارها الله فيذكر مايتصل بها من اسم أو كنية[١].

٢. ابن السبيل

وردت خمس مرات في خمس آيات في خمس سور.

قال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٦].

والسبيل هو الطريق الذي فيه سهولة[٧]، وابن السبيل المسافر البعيد عن منزله ينسب إلى السبيل لممارسته إياه[٨] يقول الثعالبي: (إذا أريد المجتاز قيل: ابن السبيل)[٩]

(١) ينظر: المفردات، الراغب الاصفهاني: ٢٩٧.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٧) ينظر: المفردات، الراغب الاصفهاني: ٢٩٧.
(٨) ينظر: ثمار القلوب: ٢١٣.
(٩) ينظر: المرصع: ١٦٣.

وقال ابن الأثير: (ابن السبيل هم المسافرون وإنما نسبوا إليه لكثرة ملابستهم لها، يقال: ابن سبيل وابن السبيل بالألف واللام أكثر، ويقال: عابر السبيل، وعابر سبيل)[1].

وقد وردت في القرآن الكريم على الأكثر الأفصح (ابن السبيل) بالألف واللام، وهي من الكنى المجازية العامة إذ كل مسافر تصدق عليه هذه الكنية وقد فُسرت بأنها أحد الأصناف المستحقة للحقوق الشرعية[2].

ولا يخفى ما أصاب هذه الكنية من تطور دلالي فهي كانت تعني قبل الإسلام المسافر فحسب، أما بعده فهي تعني المسافر المستحق للحقوق الشرعية ومن ثمَّ يصدق عليها حد الألفاظ الإسلامية[3]. ويتضح لنا دلالة الكنية التي مفادها: تقييد صفة من الصفات المستحقة للحقوق الشرعية.

٣. (ابن الله)

وردت هذه الكنية مرتين في آية واحدة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4].

فلو عدنا إلى اللغة للحاظ أمرين: أحدهما: ما يضاف إلى اسم الله تعالى والآخر: استعمال كلمة ابن ومدى الاتساع فيها.

فما يتعلق بالأمر الأول أورد الثعالبي باباً أسماه (فيما يضاف إلى اسم الله عزّ ذكره، وفيه (أهل الله، ورسول الله، وموائد الله، وناقة الله، وبيت الله، وصبغة الله)[5].

(١) ينظر: التفسير الهادي للقرآن الكريم، خليل رزق: ١٩٦، ٢٨٤، ١٨٢، ٤٠٨، ٥٤٥.

(٢) ينظر: كتاب الزينة في الألفاظ الإسلامية، أبو حاتم الرازي: ١٣٤.

(٣) ثمار القلوب: ٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣٣.

والتأمل في هذه المضافات يفضي إلى عدم وجود (ابن الله) مع كونها عربية وقرآنية ولعلّ السبب واضح فابن الله ضرب من الشرك. وما يتعلق بالأمر الثاني وهو مدى الاتساع في كلمة (ابن) عند العرب فقد يُذكر أن العرب كنّو بالابن كما يكنى بالأب[١]، واتسعوا فيه أكثر من اتساعهم بالأم[٢] واتساعهم هذا متعلق بدلالة كلمة (ابن) فـ(الابن يعزز الاختصاص ومداومة الصحبة ولهذا يقال: ابن الفلاة لمن يداوم سلوكها وابن السّرى لمن يكثر منه... ولهذا يقال: بنوآدم لأنهم منسوبون إليه وكذلك بنو اسرائيل، والابن في كل شيء صغير فيقول الشيخ للشاب يا بُني وسُمّي الملك رعيته الابناء وكذلك أنبياء بني اسرائيل كانوا يسمّون امهم أبناءهم والحكماء يسمّون المتعلمين أبناءهم ويقال لطالبي العلم أبناء العلم)[٣].

والكنية في الموضعين جاءت خبراً على أشهر الآراء[٤]، ووقوعها موقع الخبر يُعطي معنى النصّية في القصد ويبعد احتمالية غير الابن ومن هنا تتضح خطورة هذا القول إذ أخبروا عن (عزير)، و(المسيح) بـ(ابن الله) وهذا كفر وإلحاد ينافي قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٥]، ومفاد رأي المفسرين لا يخرج عن وصف اليهود والنصارى بالكفر لقولهم هذا[٦].

وقفة مع النص الكريم توحي بأمر مفاده: أن النص يحتمل بنيتين إحداهما: سطحية تتضمن قصد اليهود والنصارى ويتضح منها غرض الكنية وهو تحقيق القرب من الله إلى أقصى غاية وذلك بـ(تأليه) النبيّ، وذاك يتناسب مع شعورهم بالاستعلاء الديني والقومي[٧].

(١) ينظر: المرصع: ٣٩.
(٢) الفروق اللغوية: ٢٣٣.
(٣) ينظر: إعراب القرآن: ٢/ ١٨٦.
(٤) ينظر: تفسير القرآن المبين: ١٩٢.
(٥) سورة الإخلاص، الآيتان: ٣-٤.
(٦) ينظر: المنهج الإعلامي في القرآن الكريم: ٥٠.
(٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٢٧٥.

الأخرى: بنيه عميقة تتضمن حكم الله عليهم بأنهم منصرفون عن الحق.

وقولهم هذا في ضوء البنية السطحية يحقق مبدأ التضامنية المعتمدة في ضمن استراتيجيات الخطاب؛لأنه يحقق القرب إلى أقصى حدّ ممكن وهذا مايريدونه[١].

٤. (أبناء الله)

هذه الكنية ذكِرتْ مرة واحدة في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

وإذا نظرنا إلى هذه الكنية في ضوء مجريات اللغة لوجدنا العرب يتسعون في استعمال (أبناء) إذ قالوا (بنو فارس وأبناء فارس، وبنو خراسان وأبناء خُراسان ولم يستعملوا هذا مع الآباء والأمهات)[٣]، ففي الأول يجمع جمعاً سالماً، وفي الثاني يجمع جمع تكسير.

وما ورد في القرآن الكريم هو على السعة، وقد جاءت الكنية في موضع الخبر[٤]، ويثبت فيها النصّية الحاصلة بالإخبار[٥]. ومفاد رأي المفسرين أن اليهود والنصارى ادّعوا هذا الأمر كذباً وافتراءً للتمييز من باقي أبناء البشر فهم أبناء الله لا يعذبهم[٦].

والنص الكريم لايختلف عن السابق في بنيته إذ يحتمل بينتين إحداهما: سطحية يتضح منها دلالة الكنية وهي القرب ما لهم من مزيه على باقي البشر.

والأخرى: وهي البنية العميقة توضح دلالة أخرى لهذه الكنية مفادها خطورة

(١) المرصع: ٣٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) ينظر الفروق اللغوية: ٢٣٣.

(٤) إعراب القرآن: ٢/ ١٢.

(٥) ينظر: اللغة وعلائقياتها: ١١٠.

(٦) ينظر: مختصر الميزان: ١١١، التفسير المبين: ١١٢.

الادّعاء أكثر من الكنية السابقة فتلك اختصت بالأنبياء فقط أمّا هذه فقد تجاوزت إلى الناس الاعتياديين بالجملة وكأن ما يدعونه مباحاً ومقصوراً عليهم وهو ظلم وافتراء تعالى عنه الرحمن علواً كبيراً[١].

وشيء نود الإشارة إليه يتصل بما نحن في سبيله مفاده: أنه متى ما ذُكر ادعاء أو كنية (ابن الله)، أو (أبناء الله) يذكر قباله (اليهود) ولا يذكر (بنو إسرائيل) وما هذا إلاّ من دواعي الانسجام الدلالي والعَقَدي في النص فـ(بنو إسرائيل) غالباً ما تُذكر في مواطن الصلاح بخلاف اليهود تذكر في مواطن العداوة والفساد[٢].

٥. (ابنا آدم)

وردت مرة واحدة في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣].

وهذه الكنية الحقيقية تتكون من(ابني) مُثنى (ابن) مضافة إلى آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام وهو (اسم أبي البشر)[٤]، وهي الوحيدة التي وردت بصيغة المثنى في القرآن الكريم، وموقعها الإعرابي مضاف إليه(٢٩)، ويبدو أن صيغة المثنى أعطت للكنية غرضاً جديداً سنذكره بعد سطور.

وابنا آدم كنية لـ(هابيل وقابيل) سوية ومفاد القصة القرآنية أنهما قرّبا قرباناً فتقبل هابيل لصدقه ولم يتقبل من قابيل فقتل قابيل هابيل[٥] وقد جاءت هذه الكنية في سياق الموعظة والعبرة، ويقول الطباطبائي: (والتلاوة والنبأ، والخبر إذا كان ذا جدوى

(١) ينظر: أعراب القرآن: ٢/ ١٦.

(٢) ينظر: قصص الأنبياء: نعمة الله الجزائري: ٦١، والتعريف والإعلام: السهيلي: ٤٩، والتفسير المبين: ١١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٤) مختصر الميزان: ١١٢.

(٥) ينظر: الإعجاز القرآني: ١٤٣.

ونفع والقربات مايتقرب به إلى الله سبحانه أو إلى غيره...)[١]. ويتآزر المعنى اللفظي، والتركيب (بالإضافة لآدم) والسياق في تحديد غرض الكنية الذي لايخرج عن:

نلحظ فيها معنى الاصطفاء الإلهي لآدم وربط المضاف به لغاية التعميم وشمول كل البشر بهذه الموعظة[٢].

الاتيان بالكنية على صيغة المثنى يعطي مدلول الثنائية الأزلية ثنائية الحق والباطل، التقوى والفجور[٣].

لايخفى مافي هذه الكنية من إيجاز فقد أدّت مؤدى كلمتين (هابيل وقابيل)[٤].

٦. (ابن مريم)

وردت هذه الكنية في آيتين كريمتين إحداهما في سورة المؤمنون، والأخرى في سورة زخرف.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[٦].

والكنية حقيقية مركبة من (ابن) مضافاً إلى مريم على نبيّنا وآله وعليها السلام وهي كنية عيسى النبي على نبينا وآله وعليه وعلى أمه صلوات الله وقد وردت مفعولا به في الآية الأولى، ونائب فاعل في الآية الثانية[٧].

والتكنية في الأم واردة عند العرب وتستعمل للمدح كـ(ابن فاطمة) كنية الحسين

(١) ينظر: دليل الحياة في القرآن الكريم: ١٠٠-١٠٣.
(٢) ينظر: إعراب القرآن: ٣/ ٩٤- ٤/ ١٣٢.
(٣) ينظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٦٦.
(٤) ينظر: أيام العرب، مندر الجبوري: ٣٣.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٧.
(٧) المرصع: ٤٩.

عليه السلام[١]، و(ابن هند) كنية عمرو بن هند[٢]، وتستعمل للذم كـ(ابن آكلة البرير، وابن أمّه)، وكذلك تستعمل للتعيين أي تعيين الأم إن كان للوالد أكثرمن زوج كـ(ابن آجر وهو اسماعيل بن إبراهيم وآجر هي هاجر)[٣].

فما تقدم من استعمالات التكنية بالأم في حال وجود أب للمكنى وهذه تختلف عن كنية عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام فهو ليس له أب.

اتضح إذاً أن لهذه الكنية دلالات سنقف عليها:

فيها معنى العلمية، والنسب، والتعيين فعيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ليس له أب[٤].

الدلالة على الإعجاز الإلهي وخرق العادة بمولود ليس له أب.

نقض ألوهية عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وربوبيته عند النصارى عندما ادّعوا أنه ابن الله.

دلالة تتعلق بذكر اسم (مريم) عليها السلام وتحتها دلالتان فرعيتان:

إحداهما: (اصطفاء الله لها لتكون أمّاً للمسيح عليه السلام، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥].

ثم أن الله سبحانه وتعالى ذكر اسمها في ثلاثين موضعاً في القرآن، وهي المرأة الوحيدة الذي ذُكر اسمها في القرآن.

الأخرى: (تنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود واتهامها)[٦].

(١) المرصع: ٤٩.

(٢) ينظر: التفسير المبين: ٣٤٦.

(٣) الإعجاز القرآني: ١٤٥.

(٤) التعريف والإعلام: ١١١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٦) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٤/ ٥٥٩.

٧. (أبو لهب)

وردت هذه الكنية مرة واحدة في سورة المسد:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١].

وهي كنية عبد العزّى بن عبدالمطلب المعروف بكنية أبي لهب وهو عمّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته أبو عتبة، وهو الأخ غير الشقيق لعبد الله، عُرف عبد العزى بكنية أبو عتبة ولكن الكنية المشهورة له أبو لهب لقبه أبوه عبد المطلب لوسامته وإشراق وجهه فكانت وجنتاه ملتهبتين[٢].

وسميت مثل هذه الكنية في اللغة كنية نادرة فهي التكنية بغير الولد[٣]، واتضح لنا هذا مما تقدم أنها لبيان صفة بارزة فيه وهي (الوسامة وإشراق الوجه).

وللبحث عن غرض الكنية نقف عند عدد من الآراء نفيد منها ونستضيء في الوصول إلى مغزاها الدقيق:

يرى الإصفهاني في المفردات رأيا مفاده: (قال بعض المفسرين لم يقصد بذلك مقصد كنيته التي اشتهر بها وإنما قصد إلى إثبات النار له وأنه من أهلها وسمّاه بذلك كما سُمي المثير للحرب والمباشر: أبو حرب وأخو الحرب)[٤].

أمّا السهيلي (ت٥٨١هـ) فقد قال: (أبو لهب اسمه عبد العزى ولما كان اسمه كاذباً من حيث أضيف إلى العُزى ذكر الله عز وجل بالكنية دون الاسم؛ لأن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فإن قيل إنّ كنيته أبو لهب، واللهب ليس بابن له؟ فالجواب إنّ الله تعالى خلقه للهب وإليه مصيره، والعرب تكني بالابن وبما لصق بالمكنى ولزومه)[٥].

(١) سورة المسد، الآية: ١.

(٢) ينظر: المرصع: ٣٩.

(٣) المفردات: ٥٩٩.

(٤) التعريف والاعلام: ١٨٨.

(٥) تفسير القمي: ٧٧٢.

رأي القمّي ونصّه: (وكان اسم أبي لهب عبد مناف فكناه الله؛ لأن منافاً اسم صنم كانوا يعبدونه)[١].

وآخر يرى أن أبالهب هذا هو أبو لهب بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وآله.

ويرى محمد جواد مغنيه: أنه (نادى محمد الناس في ذات يوم فلما اجتمعوا ومنهم أبو لهب، قال لو أخبرتكم بعدوٍّ يغزوكم أتصدقوني؟ قالوا: أجل. قال: أنا نذيركم بين يدي عذاب، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تباً لك، فنزلت هذه السورة ولفظها يشعر بذلك)[٢].

يقول الدكتور صبحي الصالح: (وتستخدم الكناية في القرآن لاختصار مقدمات لا أهمية لها بالتنبيه على النتيجة الحاسمة التي يتقرر فيها المصير، مثاله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٣] فهذه كناية عن أنه جهنمي وأن مصيره إلى اللهب... وواضح أن الكناية قد لخصت في ومضة واحدة المصير الذي يراد تصويره)[٤].

ويقول محمد الحسيني الجلالي: (فعم النبي هو عبد العزى بن عبد المطلب من هؤلاء القريبين بالنسب البعيدين بالعمل والله سبحانه وتعالى ترك اسمه وكناه بكنيته لتظهر منها دخيلة نفسه كما يقال عن شخص كذاب (أبو كذاب) (أبو المصائب) تأكيدا على هويته)[٥].

وبتلاقح هذه الآراء تظهر رؤية واضحة عن مغزى الكنية وغرضها فمرة تنص على العدول عن الاسم الصريح المشرك، ومرة لتوخي الإيجاز وتكثيف المعنى.

ويرى باحث أن هذه الكنية يمكن أن تحتمل أمرين:

الأول: سلب الله منه كنيته الدالة على الوسامة وإشراقة الوجه ليدل بها على فعله

(١) ينظر: مختصر الميزان: ٦٠٣.

(٢) التفسير المبين: ٦٠٤.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

(٤) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٣٣١.

(٥) أوضح البيان في تفسير القرآن، الجلالي: ١٥١-١٥٢.

السيء وهو إشعال النار مرة، وأنه من أهل النار لامحالة مرة أخرى.

الثاني: لا تخلو الآية التي سيقت فيها الكنية من تلميحه مفارقية قائمة ومنعقدة على الضدية والتهكم[1] وتتضح من شيئين:

هو القائل في سياق تاريخي سابق (تبالك) والآن تبت يداه وتبّ.

الإتيان بأجمل كناه الدالة على الوسامة وإشراقة الوجه مع سياق العذاب والاصطلاء بالنار. وما ذكرته أودّ أن يكون جواباً شافياً لسؤال أحد الباحثين: إذا كانت التكنية عند العرب تكريماً فلماذا كُني عبد العزى (أبو لهب)؟[2].

٨. أخت هارون

وردت هذه الكنية مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة مريم.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[3].

وهذه الكنية كنيت بها مريم على نبيّنا وآله وعليها الاسلام عندما جاء يومها تحمل عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام.

وإذا ذهبنا إلى اللغة وجدنا ابن الاثير يقول: (لم يقصروا هذا التوسع على الأسماء خاصة بل أجروه في غيرها فقالوا لمن صاحب شيئا أو عاناه أو رافقه، أو أكثر من استعماله هو أخوه، وأخته ومنه: (أخا الحربِ لبّاساً إليها جلالها وليس بولّاجِ الخوالفِ أعقلا)[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ... ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا

(١) ينظر: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، محمد عبده: ٢٠-٢١.

(٢) إذا كانت التكنية عند العرب تكريما فلماذا كنى عبد العزى (أبو لهب)؟ حارث الهمام بحث منشور على موقع ملتقى أهل التفسير - على شبكة الانترنيت vb.tafsir.net.tafsir6222.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٢.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٧٩.

﴿ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[1] إنما يريد الاتساع أنهما متجانسان متشاكلان في الصفة والحال على المجاز والتشبيه)[2].

ومن ثمّ فهذه الكنية مجازية وليست حقيقية، أمّا عن كلمة (أخت) وإضافتها لـ(هارون) فللعلماء فيها قولان:

أحدهما: إن هارون كان رجلاً صالحاً، فقالوا: ياأخت هارون أي يا شبيهته في الصلاح باعتبار ملازمته وطول صحبته في بيت المقدس[3].

الآخر: أن هارون كان رجلاً فاسقاً فشبهوها به بقولهم: (يا أخت هارون)[4].

وقد رجّح النحاس الرأي الأول بقوله: (والقول الأول أولى؛ لأن فيه حديثاً مسنداً)[5]. والباحث يتابع رأي النحاس؛ لأن عليه أغلب العلماء وفيه دليل موثوق، بخلاف الرأي الثاني فعليه القلة فضلاً عن عدم توفر الدليل.

وبثبوت الرأي الأول تتضح دلالة الكنية فهي لاتخرج عن التأنيب، والتعجّب، والدهشة.أي يكون تأويل الكلام: يا أخت هذا الصالح كيف يصدر عنك هذا العمل!

٩. (إخوة يوسف)

وردت هذه الكنية مرة واحدة في القرآن الكريم في آية واحدة في سورة يوسف: قال تعالى ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[6].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٨.

(٢) المرصع: ٣٩-٤٠.

(٣) ينظر: المفردات: ٢٨. وإعراب القرآن، النحاس: ٣/ ١٣. التعريف والإعلام: ١١٠. ومجمع البيان: ٥/ ٥١٢. والكشاف: ٤/ ١٨.

(٤) ينظر: تفسير القمي: ٤٠٧. وقصص الأنبياء: ٣٤٩.

(٥) إعراب القرآن: ٣/ ١٣. ينظر: مجمع البيان: ٥/ ٥١٢.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٥٨.

وهي كنية حقيقية قائمة على أخوة النسب، ولذلك جاءت بلفظ (إخوة) فالإِخوة تصديق على النسب وغيره بخلاف الإخوان إذ تصدق على طول الصحبة والملازمة ولاتصدق على النسب[٧].

والتأمل في هذه الكنية ينبئ عن أمر مفاده: أنها جمع بين النقيضين فليس من رابط بين المضاف (إخوة) والمضاف إليه (يوسف) إلا النسب أما غيره فكله متناقضات ابتداءً من لفظ الكنية واسم (يوسف) وتناقضه مع اخوته. ويقول نعمة الله الجزائري في هذا: (المراد بتسميته يوسف أنه يغضب إخوته ما يظهر من فضله عليهم)[٨]. وغير لفظ الكنية ماصدر من الإخوة من كره وإساءة وإلقاء في غيابة الجب ثم بيعه على السيارة عبداً وهو أخوهم الصغير المحبب من والدهم يعقوب النبي على نبيّنا وآله هوعليه السلام وهو النبي وهو المسامح الذي أحزنه فراق ابنه وإخوته وتأتي هذه الكنية مختزلة للسياقات التأريخية المؤلمة وللمتناقضات بين المضاف والمضاف إليه في الآية الكريمة لتفتح نافذة لمتناقضات جديدةعلى خلاف الصورة الأولى إذ تعلو كفة يوسف وتدنو كفتهم، يقول النحاس في هذه الآية (أي فجاءت سنو القحط فجاء إخوة يوسف إلى مصر ليمتازوا وهذا من اختصار القرآن المعجز فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون؛ لأنهم خلفوه صبياً ولم يعلموا أنه بعد العبودية بلغ تلك الحال)[٩]! فهو قد عرفهم بفراسة النبوة[١٠] ولم يعرفوه وأنّى لهم معرفته وقد ألقوه في غيابة الجب[١١].

ومن ثمّ فدلالة الكنية لا تخرج عن:

الاصطفاء الواضح لاسم النبي يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام فهو محور هذه

(٧) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر: ٣١١ (أطروحة دكتوراه).

(٨) قصص الأنبياء: ١٧٠.

(٩) إعراب القرآن: ٢/ ٣٠.

(١٠) ينظر: مختصر الميزان: ٢٤٢.

(١١) ينظر: مجمع البيان: ٥/ ٢٤٥. الكشاف: ٣/ ١٣٠. التفسير المبين: ٢٤٣.

السورة وهذه القصة وعليه مدارها وما أضيف إليه يمثل الجانب الآخر الذي كان سبباً لما حل به.

الاختصار والاختزال للمتناقضات والسياقات الماضية في هذه الكنية فهي بمنزلة صورة مصغرة أو ومضة تختزل القصة.

١٠. (أمّ القرى)

وردت هذه الكنية مرتين في القرآن الكريم في سورتين هما الأنعام، والشورى:

قال تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[٢].

وهذه الكنية مجازية فهي لغير العاقل قال ابن الأثير: (وأجروا غير الأناسي مجراها في ذلك فقالوا: أمّ قار للداهية، وللقوس أم السهام، والحبل معروف أم سحيل)[٣].

أما ما يتعلق بـ(أمّ القرى) فقد ذكرها اللغويون والمفسرون وعللوا سبب التكنية بها إذ يقول الثعالبي: (أمّ القرى: أما في جزيرة العرب فهي مكة، وأمّ كل أرض وأعظم بلداتها وأكثرها أهلاً كالبصرة فإنها تسمّى: أمّ العراق، ومرو كانت تسمّى أمّ خراسان ويقال في كل قرية إذا كانت كبيرة كثيرة الأهل وأم كل شيء أصله وقيل للنبي صلى الله عليه وآله أمّي؛ لأنه نسب إلى أم القرى وهي مكة)[٤].

وقال الراغب الإصفهاني: (وقيل لمكة أمّ القرى وذلك لما رُوي أن الدنيا دُحيت

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.
(٣) المرصع: ٣٥-٣٦.
(٤) ثمار القلوب: ٢٠٣.

من تحتها)[1]. وذهب المفسرون إلى أن (أمّ القرى) مكة وسميت بذلك؛ لأنها مكان أول بيت وضع للناس؛ ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم؛ ولأنها أعظم القرى شأنا لبعض المجاورين، فهي كالأمّ الحقيقية واجبة التعظيم[2].

نستنتج مما سبق ثلاثة أمور تتعلق بـ(أمّ القرى):

المكانة الاجتماعية (المجتمعية) فـ(أمّ القرى) تعني أكثر البلدان أهلاً.

المكانة الدينية: فـ(أمّ القرى) هي قبلة من حولها ومحجّهم.

المكانة الخلقية الأصلية (أولية الخلق) فأول بيت لله وضع فيها، ودُحيت الأرض من تحتها.

فالإنذار الموجه إلى (أمّ القرى) يعني عالمية الدين الإسلامي بخلاف الأديان السابقة فقد كانت تخص أقواماً دون أُخر، ولذلك تجد القرآن الكريم حينما يذكر تلك الأديان والرسالات يورد ها موجهه إلى (قرية) أو (القرية) أو (قرى) أو(قريتين)[3].

وهذا يوحي بجزئية تلك الأديان.

إذن فإيراد الإنذار موجهاً إلى أم القرى يعني شمولية الدين التي ينسجم مع قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

١١. (أمّ الكتاب)

هذه الكنية جاءت ثلاث مرات في ثلاث سور، في آل عمران، وفي الرعد، وفي الزخرف:

قال تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[5].

(١) المفردات: ٣٩.

(٢) ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٣٣٤. الكشاف: ٢/ ٣٧١. تفسير القمي: ١٩٨، ٦١٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٥٤٣-٥٤٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2].

ومفاد رأي المفسرين أن أم الكتاب هو أصل الكتاب في علم الله تعالى[3]، ورأيهم هذا ليس ببعيد عن رأي اللغويين إن لم يكن هو[4].

ولم يجد الباحث غرضا أو دلالة أفضل مما قال به المتقدمون فما قالوا به ينسجم مع المعنى اللغوي لكلمة (أم) يقول الفيومي، في المصباح (أمّ الشيء أصله)[5].

فالأصل: المحكم، والأصل: الثابت، والأصل: فاتحة الكتاب.

١٢. (أمّ موسى)

وردت هذه الكنية في آيتين من سورة القصص:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[6].

قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[7].

وهذه الكنية حقيقية فـ(أمّ موسى) والدته، وقد كنّاها الله سبحانه ولم يصرح باسمها وهي المرأة الوحيدة التي وردت كنيتها في القرآن الكريم.

وقد أبدى المفسرون اهتمامهم في إيراد القصة التي تذكر ولادة موسى على نبيّنا وآله

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٢٧-٥٢٨، ٣/ ٣٥٧. مجمع البيان: ٩/ ٣٧. تفسير القمي: ٦٢١.

(٤) ينظر: ثمار القلوب: ٢٠٣. المفردات: ٣٩.

(٥) المصباح المنير: ٢٣.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧.

(٧) سورة القصص، الآية: ١٠.

وعليه السلام وإقبال الفراعنة على ذبح الأطفال وخوف أم موسى عليه من الذبح[١].

ويبدو أن إيراد هذه هذه الكنية في سياق الخوف ينسجم مع غرض معين لها وهو الستر والاختفاء، وإن احتج علينا محتج بأن الستر والاختفاء يناقض فكرة (الكتاب المبين)[٢]، ويؤدي إلى الإبهام وتدافع الاحتمالات في معرفة اسمها مستشهداً باختلافهم فيه بين (يوكابد)[٣]، أو (ايياوخا)[٤].

نقول: هي ليست من الذوات المغمورة حتى يعتريها الإبهام فهي من الموحى إليهم[٥]، وهي من صفوة النساء فضلا عن ارتباط اسمها باسم النبي موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وأنّى له الإيهام والإبهام؟

١٣. (بنو آدم)

وردت هذه الكنية سبع مرات في القرآن الكريم، خمس منها في سورة الأعراف وواحدة في سورة يس، وأخرى في سورة الإسراء.

وهي كنية حقيقية للبشر فـ(آدم) على نبيّنا وآله وعليه السلام أبو البشرية ونحن بنوه. وربّ سائل يسأل عن مجيء الجزء الأول من الكنية بصيغة الجمع المذكر السالم (بنون) ولم يأت بصيغة جمع التكسير (أبناء)[٦]؟

الجواب هو أن الأول يشمل الولد فحسب، أما الثاني فيشمل الولد وغيره[٧]، وإذا ذهبنا إلى مانحن في سبيله وهو التنقيب عن دلالة الكنية واستعمالها في هذه الآيات

(١) ينظر: إعراب القران: ٣/ ١٨٢. والكشاف: ٤/ ٤٨٣-٤٨٥. والتفسير المبين: ٣٨٧.
(٢) ينظر: الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية، عالم سبيط النيلي: ١٣٦.
(٣) ينظر: التفسير المبين: ٣٨٧.
(٤) ينظر: التعريف والاعلام: ١٣٠.
(٥) ينظر: قصص الانبياء: ٢٠٧-٢٠٩.
(٦) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٣.
(٧) ينظر: المرصع: ٧٢.

لاتضح لنا أن هذه الآيات السبع جاءت على سياقات ثلاثة هي:

سياق التحذير من الشيطان وعليه آيتان هما[1]:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ...﴾[3].

بيان نعم الله على جنس البشر وتميّزه عن غيره من المخلوقات وفيه آيات[4]:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ...﴾[7].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[8].

التصديق بالرسالات والإيمان بالله

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ

(١) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٣٣.
(٢) سورة يس، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٣٥، ٤٤٠، ٥٢٩. ومجمع البيان: ٣/ ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٥، ٤٩٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقد شغل المفسرون بتفسير هذه الآيات بحسب مواضعها من السور التي جاءت فيها ولم يعللوا الخطاب بـ(بني آدم) دون (يا أيها الناس) أو (يا أيها الذين آمنوا) وقد وقفنا في هذا الأمر بحثاً عن دلالة هذه الكنية فوجدنا العلاقة وثيقة بين هذه الكنية والسياقات التي وردت فيها وكلها تتآزر لتؤدي إلى دلالة عامة تشتمل على دلالات فرعية.

فدلالة الكنية هي تذكير الإنسان (بني آدم) بآدميته وهذه الأخيرة تتوقف على أمور ثلاثة متى حققتها كانت آدمية مثالية وإن أخفقت فقد خرجت عن الآدمية إلى مادونها.

وهذه الأمور لا تخرج عن السياقات المذكورة آنفاً، وتتضمن[2]:

* الحذر من كيد الشيطان.
* شكر النعمة الإلهية.
* التصديق بالرسل.

هذا فضلا عما تشتمل عليه الكنية من دلالات مهمة أخرى ومنها:

- بيان الاصطفاء الإلهي لآدم أبي البشر نبياً مرسلاً وخليفة في الأرض، فأصل البشر نبي مرسل وفي هذا سمو ورفعة وتكريم.
- بيان أصل بني البشر سواء الأسود أم الأبيض فـ(كلكم من آدم وآدم من تراب).

١٤. (بنو إسرائيل)

وردت هذه الكنية ثلاثاً وأربعين مرة في القرآن الكريم في سور متعددة.

وهي كنية حقيقية تخص فئة من الناس، وهم ذرية يعقوب على نبيّنا وآله وعليه

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

(٢) ينظر المنهج الإعلامي في القرآن الكريم: ٨٥-٨٦. والإعجاز القرآني: ١٤٤.

السلام الذين سكنوا مصر منذ عهد يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام.

والمفسرون كعادتهم لم يسلطوا الضوء على هذه الكنية وسبب استعمالها في السياقات التي سيأتي ذكرها ثم لم يبينوا الإتيان بها بدلا عن اليهود، و(أهل الكتاب)، و(الذين هادوا) ومن ثمّ سعى الباحث إلى ذلك قدر ما يستطيع وتبين له أنها وردت في سياقات أربعة هي:

سياق تبين منه اصطفاء الله لهم على العالمين ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]. ومفاد الاصطفاء أن الله صنف الأمم في أيام بني إسرائيل الأولى واصطفى بني إسرائيل.

- سياق يتضمن طلب موسى من فرعون أن يذر بني اسرائيل يهاجرون من أرض مصر ليقيموا حياتهم على أساس فكرة التوحيد ورفض فرعون لذلك وإيمان بني اسرائيل بموسى ووقوفهم لجانبه وينتهي هذا بغرق فرعون حين تبعهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾[3].

- سياق تضمن ارتداد بني إسرائيل عن موسى، وكثرة جدالهم وانحرافهم (فقد كفروا بهذه النعمة فيما بعد وانحطوا إلى اسفل سافلين)[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾[5].

- سياق يبين كفرهم بالرسل بعد موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام كالنبي عيسى

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٧.
(٣) سورة الدخان، الآية: ٣٠.
(٤) ينظر: قصص الأنبياء: ١٨١.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٠.

على نبيّنا وآله وعليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1] ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

ولا تخرج دلالة الكنية عن التعيين والتذكير بالأصل النبوي لهم ومن ثمّ حري بهم، التصديق بالرسالات.

وفي غير هذه السياقات التي مرّ ذكرها لم يخاطب القرآن بني إسرائيل بكنيتهم هذه بل استعمل أسماء أُخر كـ(اليهود) والذين هادوا، وأهل الكتاب.

وثمة أمر نودّ الإشارة إليه مفاده أنّ في كنية (بني إسرائيل) نقضاً غير مباشر لكنية سابقة مرّ ذكرها وهي (أبناء الله) فهم أولئك البشر الذين ينتسبون إلى أبيهم يعقوب الذي لقب بـ(إسرائيل).

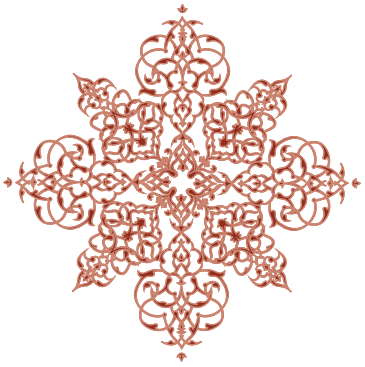

(١) ينظر: الإعجاز القرآني: ١٤٦.

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.

الخاتمة

بفضل الله ومنه انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

– تبين من البحث أن العلاقة بين الكنية والكناية تقتصر على الستر وعدم ذكر المسمى أمّا في الغاية من الستر فانهما يفترقان فالكنية لها دلالات معينة كالتعظيم والتكريم والإهانة وغيرها بخلاف الكناية إذ يراد منها عدم ذكر المسمى والذهاب إلى غيره لعلة في المسمى كالذي يُستفحش ويُستقبح.

– ثبت من البحث أن للكنية في القرآن الكريم دلالات دقيقة كالاصطفاء والتأنيث ونقض الإلحاد والاختصار والتعيين والتعميم والدلالة على الأصل.

– للسياق أثر كبير في توجيه دلالة الكنية في القرآن الكريم.

– ظهرت في(الكنية القرآنية) ملامح استعارية (مفارقية) وأخرى لسانية (نصية وتضامنية).

– لقد فاتت المفسرين معانٍ دقيقة بسبب عدم اعتنائهم بالكنية واتخاذهم إياها سبيلاً في ضمن آليات التفسير.

– يوصي البحث بدراسة الكنية في القرآن الكريم تحت عنوان (الكنية القرآنية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية/ عبد الهادي بن ظافر الشهري/ دار الكتاب الجديد المتحدة/ ط١ (بنغازي-ليبيا) (٢٠٠٤م).

٢. أسماء ومسميات من تأريخ مصر القاهرة/ محمد كمال السيد محمد/ دار الشؤون الثقافية/ (بغداد - العراق)/ ١٩٨٦م.

٣. الإعجاز القرآني/ محمد عادل القلقيلي/ ط١/ دار الجيل/ (بيروت - لبنان)/ (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

٤. إعراب القرآن/ أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)/ ط١/ دار احياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ ١٤٣٠ه،، ٢٠٠٩م.

٥. أوضح البيان في تفسير القرآن (جزء عمّ)/ محمد حسين الحسيني الجلالي/ ط١/ مؤسسة العارف للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦. التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأَسماء والأَعلام في القرآن الكريم/ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي(ت٥٨١هـ)/ تحقيق: عبدأمهنا/ ط١/ دار الكتب العلمية/ (بيروت - لبنان)/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٧. تفسير القمي/ أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث الهجري)/ ط١/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٨. التفسير المبين، محمد جواد مغنية/ ط٣/ دار التيار الجديد/ دار الجواد/ بيروت، لبنان/

١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٩. التفسير الهادي للقرآن الكريم/ خليل رزاق/ ط١/ دار الهادي/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
١٠. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)/ د.م (د.ت).
١١. جمهرة أمثال العرب/ أبو هلال العسكري (بعد٤٠٠هـ)/ ط١/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٤هـ ١٩٩٣م.
١٢. الحل القصدي للغة في مواجعة الاعتباطية/ عالم سبيط النيلي/ ط١/ دار المحجة البيضاء/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.
١٣. حياة الحيوان الكبرى/ كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ)/ ط٣/ طهران، إيران.
١٤. دعوة موسى والانحرافات الاسرائيلية في ضوء القرآن/ نوري حاتم/ تقديم: محمد مهدي الاصفي/ ط١/ بيروت، لبنان/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٥. دليل الحياة في القرآن الكريم/ لجنة التاليف/ ط١/ مؤسسة البلاغ/ ايران/ ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
١٦. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية/ ابوحاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ)/ ط١/ صنعاء، اليمن/ ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
١٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ بهاء الذين بن عقيل/ تحقيق: يوسف البقاعي/ طهران/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤ م.
١٨. شرح الرضي على الكافية/ محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ت٦٨٨هـ)/ تحقيق: يوسف حسن عمر/ ط١/ مؤسسة الصادق للطباعة والنشر/ ايران.
١٩. شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد المعتزلي: تحقيق: محمد ابراهيم: ط١/ دار الكتاب العربي: بغداد، العراق/ ٢٠٠٧م.
٢٠. شعر ابي زبيد الطائي/ تحقيق: نوري حمودي القيسي/ بغداد، العراق/ ١٩٦٧م.
٢١. علم الدلالة/ أحمد مختار عمر/ ط٥/ القاهرة، مصر/ ١٩٩٨م.
٢٢. الفروق اللغوية/ ابو هلال العسكري (بعد ٤٠٠هـ)/ مكتبة القدسي/ القاهرة، مصر.

٢٣. قصص الأنبياء/ نعمة الجزائري/ بيروت، لبنان.
٢٤. كشاف اصطلاحات الفنون/ محمد بن على التهاوني (ت١١٥٨هـ)/ وصنع حواشية: أحمدحسن سبع/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)/ تحقيق: عادل احمد الموجود واخرون/ ط١/ الرياض، السعودية/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٢٦. الكليات/ أبو البقاء ايوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ)/ قابله: عدنان درويش ومحمد المصري/ ط٢/ بيروت، لبنان/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٢٧. العرب/ ابن منظور (ت٧١١هـ)/ بيروت، لبنان/ ١٩٩٩م.
٢٨. اللغة وعلائقياتها/ علي ناصر كنانة/ بيروت، لبنان/ ٢٠٠٩م.
٢٩. مباحث في علوم القرآن/ دصبحي الصالح/ ط٥/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ١٩٦٨م.
٣٠. متن اللغة/ أحمد رضا العزاوي/ بيروت، لبنان.
٣١. مثالب العرب والعجم/ ابن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)/ تحقيق: محمد الدجيلي/ بيروت، ٢٠٠٩م.
٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن/ أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)/ شركة المعارف الاسلامية.
٣٣. مختصر الميزان في تفسير الميزان/ سليم الحسني/ دار السلام/ بيروت، لبنان/ ١٤١٣هـ، ١٩٩٦م.
٣٤. المرصّع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات/ مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير (ت٦٠٦هـ)/ تحقيق: إبراهيم السامرائي/ دار الجبل/ بيروت، لبنان/ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٣٥. المستقصي في أمثال العرب/ أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ)/ ط٢/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٣٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي

(٧٧٠هـ)/ تحقيق: عبد العظيم الشناوي/ ط٢/ دار المعارف/ القاهرة، مصر.
٣٧. معاني القرآن/ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)/ تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي/ ط٣/ عالم الكتب/ بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٣٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الحديث/ القاهرة، مصر.
٣٩. المعجم الوسيط/ ابراهيم مصطفى وآخرون/ دار الدعوة/ ١٩٨٩م.
٤٠. المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة/ محمد العبد/ ط١/ دار الفكر العربي/ مصر/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٤١. المفردات في غريب القرآن/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروب بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)/ تحقيق: ابراهيم شمس الدين/ ط١/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت، لبنان/ ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٤٢. المنهج الاعلامي في القرآن الكريم/ منهل تمكين خطار/ ط١/ مطبعة دار السلام/ بغداد، العراق/ ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
٤٣. النحو الوافي مع ربطه بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة/ عباس حسن/ ط١/ بيروت، لبنان/ ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٤٤. أيام العرب، منذر الجبوري

ثانيا: الرسائل والأطاريح الجامعية:

٤٥. إعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين/ حمزة فاضل يوسف/ اطروحة دكتوراه/ كلية الاداب، جامعة بغداد/ ١٩٩٩م.
٤٦. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني/ محمد ياس خضر الدوري/ اطروحة دكتوراه/ كلية التربية، جامعة بغداد/ ٢٠٠٥م.

ثالثا: البحوث العلمية:

٤٧. في أبواتنا فقدنا شخصيتنا (الكنية وحقيقتها)/ د. نبيه القاسم/ بحث منشور في صحيفة القدس العربي/ لندن ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٨م. (منشورة على موقع الكاتب الفلسطيني).

٤٨. كنى الحيوان دراسة ومعجم/ أصيل محمد كاظم، وكاظم داخل جبير/ بحث منشور في مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية/ العددان ٣-٤ لسنة ٢٠٠٥م.
٤٩. الكنية حقيقتها وميزاتها وأثرها في الحضارة والعلوم الاسلامية في علوم العربية/ محمد رضا الحسيني/ بحث منشور في مجلة تراثنا العدد ١٧.

رابعا: المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت:

٥٠. ملتقى أهل التفسير vb.tsir.net.tafsir6222